مجلـــة بدايـــات
Email :bidayat@lagh-univ.dz Revue :Bidayate ISSN: 2676-198X
المجلد: الثاني(02) / العدد: الثاني(02) / نوفمبر 2020/ ص ص: 61-69

اللغة الصوفية لدى شعراء مجلة الوعي الإسلامي " دراسة لسانية نصية " .

Sufi language among the poets of the Islamic awareness magazine .A textual linguistic study

د. هيثم بن عمار
[1] جامعة محمد خيضر بسكرة (الجزائر)
البريد الإلكتروني : algeri069900@gmail·com
رقم الهاتف:0699001432

تاريخ الإرسال:.2020/08/28	تاريخ القبول:27-08-2020	تاريخ النشر 08-11-2020

ملخص البحث

إذا كانت اللغة في الأسلوب الشعري تشكل جزءا مهما من مادة الإبداع الفني ، التي لا يكبلها_ الألفاظ_ في الشعر الرمزي معنى محدود مألوف ، بل تترك للقارئ مجال التصور والتخيل ، كم أنها ليست مصبوغة بصبغة موضوعية ، فهي في الجملة بصيص أضواء باهتة تومئ إلى المعنى المضمر ، فتكسب النص فيضا صوريا جعلت الشاعر يريد أن يعبر عن النفس الإنسانية بأفكار واسعة النطاق وفي اللاوعي الباطني . لذلك ومن خلال هذه المقال سنحاول أن نبين كيف استطاع شعراء مجلة الوعي الإسلامي من خلال نصوصهم الشعرية أن يبدعوا ويخلقوا فنا صرفا ينجذب إليه حدس المتلقي المتذوق ، كما أرادوا أيضا أن يوهموا ويسحروا في جو من الأحلام الشعرية الغامضة التي تقرب الإنسان وتنطلق به من أجواء العالم المادي المحدود ، إلى أفق عالم الغيب الرحبة.

الكلمات المفتاحية: تصوف – لغة – الوعي الإسلامي ، لسانيات ، نصية .

Abstract:

If the language in poetic style forms an important part of the artistic creativity subject, which the words in the symbolic poetry do not curb in a limited, familiar meaning, but leave the reader with the field of visualization and imagination, how much it is not dyed with an objective dye, in the sentence it is a flicker of light that fades into the implicit meaning, The text gained a formal flood that made the poet want to express the human soul with wide-ranging ideas and in the subconscious. Therefore, through this article, we will try to show how the poets of the Islamic Awareness Magazine, through their poetic texts, were able to create and create pure art that attracted the intuition of the receptive connoisseur, as they also wanted to delude and fascinate in an atmosphere of mysterious poetic dreams that bring

people closer and launch them from the spheres of the material world Limited, to the horizon of the vast unseen world.

Key words: Sufism - Language - Islamic Awareness, Linguistics, Textuality.

1_التعريف بشعراء الوعي الإسلامي :

مجلة الوعي الإسلامي هي روائع شعرية نشرت في مجلة تحت اسم" مجلة الوعي الإسلامي" ، ما بين عام 1385هـ_1431هـ ،وقد جمعت المجلة طاقاتها وإمكاناتها العلمية لتحقيق الهدف السامي لها ألا وهو زرع الثقافة العربية الإسلامية بشتى صنوفها في الناشئة والمبتدئين وفي الصغار والكبار على حد سواء .

فتيسر لها ذلك بفضل الله عز وجل إخراج عدد ليس باليسير من الكتب الشرعية والأدبية والثقافية ، كان لها نصيب وافر من الحفاوة والتكريم في كثير من المجتمعات داخل الكويت وخارجه .

ويعتبر ديوان مجلة الوعي الإسلامي ديوان شعر جمعت فيه طائفة من الشعراء روائع الشعر مما نشر فيها ما بين 1385هـ_1431هـ ، وهو يمثل كنزا شعريا وثروة أدبية نفيسة تعين الخطيب على تقويم خطبته .

2___خصائص البنية التركيبة في مجموع قصائدهم الشعرية :

لقد وظف شعراء مجلة الوعي الإسلامي الشعر كوسيلة للكشف والبوح عن الهموم والهواجس التي تطمح لها الذات سابحة في الملكوت الإلهي إذا كانت اللغة في الأسلوب الشعري جزءا مهما من مادة الإبداع الفني التي تترك للقارئ مجال التصور والتخيل ، فتكسب النص فيضا صوريا جاعلة الشاعر يريد أن يعبر عن النفس الإنسانية بأفكار واسعة النطاق.

لقد استطاع شعراء مجلة الوعي الإسلامي أن يجسدوا في هذا الموضوع العديد من القصائد التي تحتوي على تعبير شعري رائع ، هذا ما دعانا إلى تناولها بالتحليل وتفكيك أنساقها وإبراز وظائف الخطاب الصوفي فيها ، لذلك فالقارئ إذن لسياق النصوص الشعرية في سياقها الثقافي العام ، والذي يمثل ذات السياق الصوفي والفكري الذي نشأت فيه أفكار هذه المجموعة من الشعراء ، كما أن موضوعها ومعانيها وأغراضها تكاد تتطابق مع تفاصيل رحلته من الشك إلى الإيمان .

وعلى هذا يمكننا أن نصف التصوف عندهم بأنه دلالات فكرية علمية تبدأ بالدين وتنتهي بالعقل وفي هذا يقول الغزالي في ميزان العمل " **النفس قد ارتاضت بالعلوم الحقيقية البرهانية فيكسبها ذلك بالخاطر خيالات تظنها حقائق تنزل عليها ، وأول ما تدرك الحقيقة بالتجلي والكشف والذوق ثم الشرب ثم الري ، فصفاء المعاملة موجب لذوق المعاني** "[1]، لذلك فقد ارتكزت بعض القصائد الصوفية لديهم من مطلعها إلى آخرها بالبعد الأخلاقي ، لأن التصوف أخلاقا وتجربة حياتية واقعية مصدرها القلب المؤمن ومصدقها العمل المشروع .

فشعراء مجلة الوعي الإسلامي قد عبروا عن رغبتهم في التماهي مع هذا الوجود بلغة صوفية مشحونة بالوحدة والإشراق ، حيث أطلقوا العنان لرغباتهم الباطنية وهم في قمة إلهامهم الشعري وواقعهم الحسي ، إلى الرؤيا الصوفية برحابتها واتساعها فعبروا عن موقفهم من الحياة والموت والوجود والعدم بلغة تتصارخ فيها المتناقضات ، لذلك فاللغة الصوفية تهدف إلى وصف مالا يوصف وإلى قول ما لا يقال ، أو ما لا يمكن أن يقال لأن الصوفي في لحظة المشاهدة يرى ما لا يمكن لغيره أن يراه ،لذلك كان الرمز الصوفي عالما خاصا لا يمكننا الولوج إليه حتى نتمكن من ذلك ، ويمكن تمثيل شيء من سمات هذه الرؤيا المنفتحة من خلال قول الشاعر سعيد شوارب في قصيدة " على الباب " :[2]

خبأت ، كم خبأت آهــاتي ، وتعلم كم أخبئ

يا سيدي ، يا صاحب الباب الكريم ، وأنت حسبي

قد هدني الموج العتي، وحرت في ذنبي وحبي

إن التشكيل الأسلوبي المتنوع المعتمد من طرف الشاعر في مستوى صياغة العبارات بين التمني والاستفهام والتعجب قد أكسب تجربهم الإبداعية حرارة وعمقا عبر الاستعارات والتخييل والمجازات في عال الصورة ، وقد اكتسبت وتحققت تجربة الشاعر الروحية في حركة درامية تحاورت فيها الذات (ذات الشاعر) مع غيرها وهذا ما يظهر لنا من خلال قول الشاعر " سعيد شوارب " في نفس القصيدة يقول :[3]

يا ليت لو " ليتي " تفيد ، فرشت للغفران هدبي

إن كنت عبدا قد عصيت ، فهل ألوذ بغير ربي !

أتردني؟ إن حططت بباب عفوك ، كل كربي

ويقول أحمد بشار بركات في قصيدته " مناجاة " بعدما اعتمد على أسلوب النداء في مناجاة ربه يقول :[4]

يــا رب إني نادم مستغفر رباه كل مناي بعض رضاكا
يا فارج الكرب الجسام وقادرا أن تكشف البلوى وليس سواكا
يا رب قد عظم المصاب بأمتي رحماك رب الكون يا رحماكا
يا رب عفوك إن قومي غرهم زيف الحياة ولا مجبر سواكا

نعم إنها حقيقة الحقائق ، إذن فقد تتطور في مثل هذه التجارب الطاقات التعبيرية للغة وتتداخل في مناخ جديد من خلال وضوح وتجلي الذات الشعرية ، لتشكل منه مفردات تتضافر فيما بينها على وفق صيغ وتراكيب معينة يتخيرها الشاعر فينسجها ليجعل منها مادة شعرية يظهر فيها إبداعه الفني وقدرته البنائية ، ليحفز المتلقي على استحضار تجربته ومقارنتها مع ما للمتلقي من مشاعر نفسية وتجربة وجدانية .

لذلك فبعد ملاحظتنا للخطاب الشعري لدى شعراء مجلة الوعي الإسلامي وجدنا أن معظم قصائدهم ارتكزت بالبعد الأخلاقي ، باعتبار التصوف أخلاقا وتجربة حياتية واقعية مصدرها القلب ، ومن ذلك يقول الشاعر محمد التهامي في قصيدته " يا رب " يقول :[5]

لك في حياة العالمين شؤون ما كان من أحداثها ويكون

وعلى الذي ترضاه في هذا الورى ما اهتز منطلق وقر سكون

إني أنا الإنسان أعرف من أنا وأرى مكاني منك أين يكون

إني ذكرتك خاشعا بمدامع ذابت لفرط حنينهن جفون

يا ذا الجلال وكل خلقك كلمة الكاف كل حروفها والنون

كما عمد كذلك الشعراء في بناء نصوصهم الشعرية على معجم شعري ذو ألفاظ تحمل دلالة وجدانية مثل (**المحب** ، ، **الحب** ، **الهوى**...) بالإضافة إلى توظيفه لبعض المفردات التي تحيل إلى عالم الروح والمادة أمثال (**السهو** ، **الروح الشوق** ، **النور** ، **الشطح**) من ذلك قول الشاعر عبد العليم عيسى في قصيدته " الله نور السموات والأرض " يقول : [6]

نورك في روحنا .. نحس به في فلك بالضمير .. دوار
نورك فيه ، حقيقة أخذت أطراف آفاقه ، بمقدار
في دمع باك ونوح باكية وشدو شاد وشوق سمار

ويقول كذلك الشاعر وحيد الدهشان في قصيدته " أشواق " عندما وظف مصطلح الشطح يقول : [7]

من أي نبع تستمد دواتي إن تقت يا قلب إلى الجنات
ولأي طاقات الخيال قصيدتي تهفو وهل تجدي هنا شطحاتي

3_ خصائص البنية التركيبية :

من المعلوم أن البنيات التركيبية ، وطريقة انتظامها هي المتحكمة في كيفية تشكل المعنى النصي وبمعنى أوضح يمكن الانطلاق من التكوين التركيبي لفهم رؤية صاحب النص حول العالم ، وكيفية اختزان صور الموجودات من حوله ، ولهذه العلاقة بين التركيب والمعنى النصي قرر الجرجاني تقفي الكلم في النظم لآثار المعاني ، وترتيبها بحسب ترتيب الأخرى في النفس ." وانطلاقا من هذه الرؤية التي كرستها حديثا الأسلوبية اللسانية فيما يصطلح عليه بالمحاكاة التركيبية (**onomotopie syntaxique**) [8] يمكننا تمثل الإطار التركيبي المتحكم في إنتاج الدلالة النصية لدى شعراء مجلة الوعي الإسلامي، فهل تحتوي أشعارهم على بناء

جماليا واحدا يهيمن على أنواع الجمل الأخرى ؟ أم يقوم التركيب على التعددية والاختلاف ؟ فالناظر إلى النماذج الشعرية التي تناولناها والتي يحتوي عليها الديوان يلمح وبشكل جلي نوعين أساسين من الجمل هما : الجملة الفعلية والتي وردت بنسبة65% ، في حين تمثل الجملة الاسمية نسبة28 %، وبهذا تكون النصوص الشعرية قد جمعت بين أنواع مختلفة من الجل خدمة لمعاني سياقية معينة ، ومن تلك الأفعال نذكر اعتمادهم_ شعراء مجلة الوعي الإسلامي_ على فعل الأمر مثل (**أصلح ، طهر ، أنقذ ، ألق**) ، ومن ذلك قول الشاعر أحمد بن سوده في قصيدته " مناجاة " :[9]

إليك إلهي قد أتيت ملبيا فبارك إلهي حجتي ودعائي

وأصلح أمور المسلمين وجمعهم وصيرهم قلبا محبا وواعيا

وطهر بلاد القدس من كل معتد وصير منار الحق في الأفق عاليا

وأنقذ مغاني القدس من كل فاجر وخرب عليهم ملجأ وصياصيا

وألق سلاح الرعب في قلب ظالم يخرب أبياتا ، ويخضع جائيا

ومن أفعال الرؤية التي اعتمد عليها كذلك بعض شعراء المجلة والتي تعكس موقف الشاعر من الوجود مثل (**أطالع ، أرى ، أنغمس ، أشاهد**) ، وهي الأفعال التي جاءت لتأدية الوظيفة المعرفية التي تمكن النص من إنجاز الفعل ،وأما الجمل الاسمية فقد تواتر توظيفها بصيغ متنوعة منها قول الشاعر محمد هارون الحلو في قصيدة " الله في كل شيء " :[10]

إن رأيت الله جل جلاله في كل شيء في الورى موجود
شاهدت ربي في خمائل فتنة وعرفته في رقة الأملـــــود

ويقول إبراهيم بديوي في قصيدة " مع الله " يقول:[11]

بك أستجير ومن يجير سواك فأجر ضعيف يحتمي بحماكا

يا مدرك الأبصار والأبصار لا تدري له ولكنهه إدراكا

أتراك عين والعيون لها مدى ما جاوزته ، ولا مدى لمداكا

إن لم تكن عيني تراك فإنني في كل شيء أستبين علاكا

ويقول كذلك الشاعر العوضي الوكيل في قصيدة " بأسمائك الحسنى "يقول :[12]

بأسمائك الحسنى دعوت فلقني رضاك وهيئ لي المراشد في عمري

وأستقبل الدنيا فألقاك دونها وأستدبر الدنيا فتصخب في صدري

وأشهد منها مشهدا بعد مشهد فيهتز وجداني بنائلك الغمـــــر

4_ الرمز والصورة :

الرمزية أن توحي بعواطف أو أفكار باستعمال كلمات خاصة أو أنغام الكلمة في نظام دقيق لنقل المعنى بتأثير فني أو غامض ،[13]ويكون لهذا المعنى دلالات متعددة وآفاق قرائية متنوعة ، وتكمن الخطوة الأولى في إيجاد العلاقة بين الرمز والمعنى الذي وضع له ، وفي هذا السياق يرى " ستيفان ملارميه " **" أن الرمزية استحضار للمعاني قليلا قليلا إلى أن تضبط الحالة بواسطة تتابع للطلاسم من خلال إشارة موضوع إلى آخر ، لكن فيه ما يؤهله لأن يتطلب الانتباه إليه لذاته كشيء معروف ."** [14]

هذا ويعد الرمز من مقومات الإبداع الشعري ليحقق التأثير والإبداع معا ، والشعر الصوفي يميل إلى توظيف الرموز بأنساق مختلفة ليحقق البعد الجمالي وكذا الإقناعي معولا على قاعدة التضاد (المفارقة) لإبراز المعنى الخاص بتجربته الشعرية ، (**الظاهر / الباطن**) (**الحقيقة / الغيب**) ، (**الخوف / الرجاء**) وكل هذا يمثل حضورا فعليا نصيا في شعر شعراء مجلة الوعي الإسلامي ولنا أن نقف عند البعد الرمزي يقول الشاعر علي عبد العظيم في قصيدة " آمنت بالخالق البارئ وحكمته "يقول : [15]

خمسون عاما مضت أم بعض أعوام طويتها بين أشجان وآلام

رمت الحقيقة في شتى مسالكها فما وجدت سوى أضغاث أحلام

فالنص السابق يعكس لنا الخصوصية الشعرية التي تميز بها المنجز الشعري لدى الشاعر ، في قيمه المختلفة سواء الفلسفية أو العقلية ، وتكاد تكون هذه الأشعار نتاج تجربة مخصوصة ومتفردة تفصح عن رؤية خاصة وحالة نفسية تسعى دوما إلى مجاهدة النفس والشهوات .

5_البناء النصي لدى الشاعر وأثره في الدلالة :

يمثل هذا العنصر الخاصية الثانية التي يرتكز عليها البناء النصي ولعلنا لا نكون مبالغين إذ قلنا بأن هذه الأشعار قد اختارت بعض التقنيات الفنية منها البناء الدرامي لتمثيل التجربة الروحية للشاعر في علاقتها بالموضوع ،[16] تهذيب النفس وردها إلى الطريق القديم ، فالشاعر إذن يقدم لنا من خلال نماذجه الشعرية حوار داخلي بين ذاتين يقول سعيد شوارب : [17]

خبأت كم خأت آهاتي وتعلم كم أخبئ

يا سيدي ، يا صاحب الباب الكريم وأنت حسبي

يقف النص باعتباره معادلا موضوعيا لقصة شيخ عابد تائب داعيا متضرعا ، ومن هنا يمكننا أن هذه القصة تمثل إطارا للشعر عند الشاعر ، ما جعل أشعاره تنطوي تحت أدب التصوف ،اتُّخِذت فيه النفس كمركز محققة بذلك انسجاما داخلي وآخر خارجي

5_التكرار وأشكاله النصية .

من المفاهيم الأساسية في معالجة النص الشعري ، فهو وسيلة مهمة لاكتشاف أبعاد الواقعة الأدبية ، وتكمن أن يتمظهر العنصر المكرر في أشكال مختلفة ، فإما أن يكرر الدال مع مدلول واحد وإما أن يكرر مع مدلول يتحقق من جديد في كل مرة بشكل مختلف ، إذ ميزت الدراسات في هذا المجال بين التكرار التام متعدد ووحيد المرجع ، والتكرار الجزئي الذي يقوم على وحدة المادة المعجمية مع اختلاف صيغها وشبه التكرار القائم على الوهم الصوتي والشبيه بين الصيغ في الأصوات المؤلفة .

كما أن التكرار الموسيقي للقافية يشيع في النص شعورا وجدانيا مميزا يتوافق مع الموضوع والغرض النصي ، مما يكون له الأثر الكبير في نفس المتلقي ، وهذا ما يعبر عنه بالانسجام الوجداني بين النص والمتلقي ،[18] ومن شواهد النوع الأول في النص (تكرار الألفاظ) أمثال : لفظة (**العشق**) والتي تكررت 5 مرات ، ولفظة (**الشطح**) والتي تكررت بنسبة 4مرات ، أما بالنسبة للنوع الآخر من التكرار تكرار مادة (**العفو** ، **العافية**) ، وأما النوع الآخر وهو شبه التكرار والذي ورد في بعض المواضع والذي يكاد يكون ملمحا أسلوبيا مميزا في المساحة النصية كلها مما يشير إلى قيام النص على وحدة شكلية قوامها تكرار اللفظ.

ومن أشكال النوع الآخر والذي يدخل في شبه التكرار (التكرار بالمرادف) ون ذلك ما يظهر في استخدامهم: (**الهوى** / **الحب**) ، (**أرى**/ **أبصر**) ، ومن صور المصاحبة المعجمية كذلك توظيف الشاعر لعنصر التضاد بين الكلمات مثل قوله :(**النور** / **الظلام**) ، ولعل العناية بتحليل المعجم الشعري في ضوء نظرية الحقول الدلالية سيكشف عن اجتماع عدد من الألفاظ التي ترتبط بموضوع رئيس مثل أفعال الرجاء وألفاظ الطاعة .

لقد نوع الشعراء في مضامينهم الشعرية من خلال رؤيتنا للصور التي وظفها و للانفعالات الوجدانية التي تعكس تجربته الشعرية ، ويمكننا من خلال هذا تقسيم مضمون تجربتهم الصوفية إلى نقاط منها :

1_ تجربة المعاناة .

2_ تجربة للسعادة والطمأنينة .

3_ تجربة العتاب واللوم .

4_تجربة الدعاء .

5_تجربة الصبر .

الخاتمة :

وبعد هذه الدراسة المهمة لبعض عناصر التشكيل الشعري الصوفي لدى شعراء مجلة الوعي الإسلامي والتي استطاعوا من خلالها أن يقدموا لنا تجربتهم الشعرية التي تمكنا من خلالها تحليل بعض الظواهر والأنساق الوظيفية المكونة لخطابهم الصوفي ، واستطعنا بعد هذا التحليل البسيط أن نلاحظ سهولة وبساطة خصائص القول الشعري لديهم .

الهوامش :

1. الغزالي : ميزان العمل ، تحقيق : سليمان الدنيا ، دار المعارف ، (ط1) ، القاهرة ، مصر ، 1964، ص44.
2. فيصل يوسف أحمد العلي : ديوان شعراء مجلة الوعي الإسلامي ، (ط1) ، الكويت ، 2016، ص 08.
3. المصدر نفسه : ص08.
4. المصدر نفسه : ص 16.
5. المصدر نفسه : ص 24.
6. المصدر نفسه : ص43.
7. المصدر نفسه : ص 50.
8. نعمان بوقرة : لسانيات الخطاب " مباحث في التأسيس والإجراء ، دار الكتب العلمية، (ط1)، بيروت ، لبنان ، 2012، ص299.
9. فيصل يوسف أحمد العلي : ديوان شعراء مجلة الوعي الإسلامي : ص 31.
10. المصدر نفسه : ص 45.
11. المصدر نفسه : ص 11.
12. المصدر نفسه : ص 26.
13. نعمان بوقرة : لسانيات الخطاب " مباحث في التأسيس والإجراء) ، 305.
14. المرجع نفسه : ص 305.
15. فيصل يوسف أحمد العلي : ديوان شعراء مجلة الوعي الإسلامي : ص37.
16. نعمان بوقرة : لسانيات الخطاب " مباحث في التأسيس والإجراء) ، ص 307.
17. فيصل يوسف أحمد العلي : ديوان شعراء مجلة الوعي الإسلامي : ص 10.

18.نعمان بوقرة : لسانيات الخطاب " مباحث في التأسيس والإجراء) ، ص 309.

المصادر :

1. الغزالي : ميزان العمل ، تحقيق : سليمان الدنيا ، دار المعارف ، (ط1) ، القاهرة ، مصر ، 1964.

2. فيصل يوسف أحمد العلي : ديوان شعراء مجلة الوعي الإسلامي ، (ط1) ، الكويت ، 2016.

3. نعمان بوقرة : لسانيات الخطاب " مباحث في التأسيس والإجراء ، دار الكتب العلمية، (ط1)، بيروت ، لبنان ، 2012.